

أين الله مما يجري؟ (الجزء الأول)

10 برنامج التنوير

الحلقة الثامنة

2021-05-08

سؤال يتكرر يسأله بعض الملحدِين بقصد إضلال الناس، ويسأله بعض المؤمنِين بحثاً عن الحقيقة والتماساً لراحة النفس، ينظر أحدهم حوله فيرى ظلاماً، يرى سفكاً للدماغ دون وجه حق، يرى اغتصاباً للأرض، وإتلافاً للممتلكات، فيسأل: أين الله؟

أولاً: إن الاستدلال على وجود الله تعالى ليس هذا طريقه:

لقد رسم الله تعالى طريق الاستدلال على وجوده في قرآنه الكريم وهو طريق النظر في المخلوقات، فالخلق يدل على الخالق، كما أن الصنعة تدلُّ على الصانع، وكمال الخلق واضح لا يخفى على عاقل، ومن خلاله نستدلُّ على وجود الخالق ووجدانيته وكماله، أما وجود الخالق فنستدل عليه من المخلوقات، وأما وجدانيته فمن دقة الصنعة وإحكامها، وأما كماله فكمال الخلق يدلُّ على كمال التصرف، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا
(12)

(سورة الطلاق)

وقال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْنَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60)

عشرات بل مئات الآيات في كتاب الله تبيين أنك إن أردت أن تستدلّ على وجود الله ووجدانيته وكماله فما عليك إلا أن تنظر في مخلوقاته، وبعد أن تؤمن بكمال الخلق ستؤمن بكمال التصرف وستوقن بوجود الحكمة من التصرف حكماً، فلا يُقبل عقلاً أن يكون هناك خلقٌ بهذه العظمة وهذا الإتقان، ثم لا تكون حكمة أو لا يكون عدلٌ أو لا يكون علمٌ! انظر إلى قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1) عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ (2) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (3) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (5)

(سورة النبأ)

ههنا حديث عن يوم القيامة وعن الوقوف بين يدي الله للحساب وإحقاق الحق وإبطال الباطل، ولكن الناس مختلفون في الإيمان به، ثم يبين المولى طريق هذا الإيمان الغيبي بعرض عشر آيات كونية تثبت أن من خلق هذا الخلق لا يعقل أن يترك عباده هملاً دون حساب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (6) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (7) وَخَلَقْنَاكُمْ أَرْوَاجًا (8) وَجَعَلْنَا تَوْمَكُمْ سُنْبَاتًا (9)

(سورة النبأ)

إلى أن يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ يَوْمَ الْقَضَلِ كَانَ مِيعَاتًا (17)

(سورة النبأ)

فيوم الفصل الذي يُفصل فيه بين الظالم والمظلوم، والحاكم والمحكوم، والقائل والمقتول آت لا محالة وفي وقته المحدد له وفق حكمة الخالق الذي آمنت بعظمته من خلال نظرك في عظيم صنعه.
أما أفعال الله فلا يصح الاستدلال من خلالها بشكل منفصل على وجود الله ووجدانيته وكماله تصرفه، إذ أفعاله جل جلاله يحكمها العلم وتحكمها الخبرة، وحتى تفهم حكمة الله في تعجيل الثواب أو تأخيره، وفي تعجيل العقاب أو تأخيره يجب أن تملك علماً كعلمه وهذا مستحيل!

ثانياً: عاملان لا يصح أن ينفصلا في عقيدة المسلم:

إن هناك عالمين لا يصح أن ينفصلا في فكر المسلم وعقيدته؛ هما عالم الشهادة وعالم الغيب، إن النظر إلى الأمور بعالم الشهادة وحده خطأ جسيم، ولا بد أن يخرج الإنسان بعد ذلك بنظرة قاصرة، لقد خلق الله للإنسان عينين ومن خلالهما يدرك البعد الثالث للأشياء بحيث تكون نظريته متكاملة وفي العمق، وكذلك فإن النظر من ثقب الشهادة إلى كل ما يجري في الكون سيعطي نظرة سطحية أما النظر بعين الغيب مع الشهادة فسيعطي الصورة الكاملة.

تدبروا معي هذه الآيات من سورة الروم، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَعَذَّبْنَا لَكُمْ L

(سورة الروم)

وعذ الله من عالم الغيب الذي يخبرنا الله تعالى عنه، والذي لا يمكن لحواسنا أن تدركه.

نتابع الآيات:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (7)

(سورة الروم)

ظاهر الحياة الدنيا هو عالم الشهادة وهو مبلغهم من العلم، إنه ما تدركه حواسهم فقط، إلا أنهم غافلون عن الآخرة والتي هي من عالم الغيب.

نتابع الآيات:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ
(8)

(سورة الروم)

إن هذا هو الطريق الصحيح للاستدلال على وجود الله ووجدانيته وحكمته وعدله جل جلاله، إنه طريق النظر في خلقك أولاً ثم في خلق الكون من حولك، فالله تعالى خلقه بالحق ومن خلاله تدرك أن هناك عالماً لا تدركه حواسك؛ إنه عالم الغيب، ومن خلال خلقك وخلق الكون من حولك بالحق لا بد أن تدرك أن يوم الحق سيأتي عند لقائك مع خالقك جل جلاله.

ملخص:

في هذه الحلقة عرضنا لنقطتين مهمتين، الأولى هي أن طريق الإيمان بوجود الله ووجدانيته وكماله هو النظر في خلقه لا في أفعاله التي قد لا تفهم كثيراً منها لأنك لا تملك علماً يؤهلك لذلك.

النقطة الثانية أن عالم الغيب لا ينبغي أن ينفصل عن عالم الشهادة في فكرك وعقيدتك لأن النظرة الكاملة لا تحصل إلا بالربط بين ما تدركه بحواسك وما يغيب عنك.

وللكلام تنمة في الحلقة القادمة..

والحمد لله رب العالمين.